الفصل الثالث

الرؤية الأدبية للشتات اليهودي في ضوء أحداث النازية

ولدت الحركة الصهيونية، ونشأت، وترعرعت في الشتات الغربي، متجاورة مع النازية الألمانية، وعلى مدى التاريخ، ومع توجهات الحركتين، ظهر واضحاً التشابه بينهما، من حيث البنية العنصرية، والنظرة تجاه الآخرين. ويستخدم النازيون الصهاينة، على حد سواء، الخطاب النيتشوى الداروينى نفسه المبنى على تمجيد القوة، إسقاط القيمة الأخلاقية. إذ يستخدم الصهاينة شأنهم فى هذا شأن النازيين، مصطلحاً محايداً، فهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين، وإنما عن تهجيرهم أو دمجهم فى المجتمعات العربية، وهم لا يتحدثون مطلقاً عن تفتيت العالم العربي، وإنما المنطقة. ولا يتحدثون عن الاستيلاء على القدس، وإنما توحيدها، ولا عن الاستيلاء على فلسطين، أو احتلالها، وإنما عن استقلال إسرائيل، أو عن «عودة الشعب اليهودي» إلى «أرض أجداده»[1].

«ويتضح التطابق بين النازيين والصهاينة بكل جلاء فى واحد من أهم التنظيمات النازية، فقد كان النازيون ـ شأنهم شأن أية عقيدة تدور فى إطار القومية العضوية ـ يؤمنون بوجود دياسبورا ألمانية (أوسلاندويتش) (Auslandeutsch)، تربطهما روابط عضوية بالأرض الألمانية الأم، ويجب أن يعملوا من أجله، وربما لأن العودة للوطن الأم أمر عسير كما هو الحال مع الصهاينة، اقترح النازيون ما يشبه نازية الشتات (مثل صهيونية الشتات)، عن طريق تشجيع الألمان فى الخارج على دراسة الحضارة واللغة الألمانيتين. وكان للنازيين ما يشبه المنظمة الصهيونية، التي كانت لها مكانة فى ألمانيا تشبه من بعض الوجوه مكانة المنظمة

(١) المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٢.

الصهيونية العالمية في إسرائيل، وقد تعاون الألمان من كل أنحاء العالم مع السفراء والقناصل الألمان، تماماً، كما يتعاون اليهود الصهاينة مع سفراء وقناصل إسرائيل في بلادهم»[١].

«ومما يثبت عمق الأواصر والصلات العنصرية بين النازية والصهيونية أن «أتسكورتسيني» قائد الفرقة المظلية النازية، والذى قلّده «هتلر» وسام الفرسان، تقديراً لجهوده فى إطلاق سراح «موسيلينى» ورفاقه من السجن زمن الحرب، والذى حوكم غيابياً كمجرم حرب، قام فى فترة لاحقة، بعد قيام إسرائيل، بتدريب وإنشاء سلاح المظليين فى إسرائيل ذاتها، حيث قوبل بمظاهر الحفاوة والتكريم، ومازالت مؤلفاته هى المصادر الأساسية فى تدريب الضباط المظليين الإسرائيليين، حتى اليوم»[٢].

«وليس من قبيل المصادفة قيام تعاون بين المنظمة الصهيونية العالمية وبين النازية الهتلرية، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، رغم ما رافق ذلك من ضجة إعلامية مفتعلة حول حملات الإبادة الجماعية المنظمة من قبل القادة النازيين ضد آلاف اليهود، والتى كانت بتخطيط وتنظيم مسبق مع قادة الصهاينة فى ألمانيا الهتلرية، وذلك بغية إرغام اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وفى الوقت ذاته للقذف بالجواسيس اليهود الذين جندتهم النازية الهتلرية إلى خلف خطوط الحلفاء، تحت غطاء الفرار من حملات الإبادة النازية»[٣].

«وكان كثير من الصهاينة يكنون الإعجاب بالنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها، ولمُثُلها، ولنجاحها في إنقاذ ألمانيا، بل عدُّوا النازية حركة تحرير وطنى (ربما مثل الصهيونية التى تزعم الآن أنها هى الأخرى حركة تحرير وطنى للشعب اليهودي)، ولذا كان الشباب الصهيوني والمراجعون يهتفون: ألمانيا لهتلر، وإيطاليا لموسولينى، وفلسطين لجابوتنيسكى[٤]. وقد سجَّل حاييم كابلان (وهو صهيونى كان موجوداً فى

(١)المرجع السابق، ص١٣٣ - ١٣٤.

(٢)زيتون، عبد الوهاب: يهودية أم صهيونية، أحداث ووقائع دار الأصالة، بيروت،١٩٩١، ص١١٨؛ نقلاً عن مجلة ذاروبيجيم، العدد ١٩٥٤٣، ١٩/ ١١/ ١٩٧٠م.

(٣)المرجع السابق، ص١١٧.

(٤)ولد جابوتنسكى فى روسيا، عام ١٨٨٠م، وهو أديب، وصحفي، وخطيب متألق، وهو زعيم صهيونى شارك منذ شبابه فى العمل والنشاط بالحركة الصهيونية، وشارك فى الصحف الروسية، انضم إلى منظمة الدفاع الذاتى ضد المتمردين الروس. أنشأ هو ورفاقه، عام ١٩٣٥م، المنظمة الصهيونية الجديدة، توفى في عام ١٩٤٠م بالولايات=

جيتو وارسو، أثناء حصار النازى له) أنه لا يوجد أى تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم، فيما يخص «المسألة اليهودية »، فكلتاهما تهدف إلى الهجرة، وكلتاهما ترى أن لا مكان لليهود فى الحضارات الأجنبية»[١].

ومع تبلور الصهيونية ونموها كحركة فى الغرب (الشتات)، «يظهر التماثل البنيوي بين النازية والصهيونية في خطابهما، فكلاهما يستخدم مصطلحات القومية العضوية، مثل : الشعب العضوى (فولك)، والرابطة الأزلية بين الشعب، وتراثه، وأرضه « الشعب المختار»، وقد سئل «هتلر» عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية : لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران، ونحن وحدنا شعب الله المختار»[٢] .

« إن النازية و الصهيونية ليستا بأية حال انحرافاً عن الحضارة الغربية الحديثة، بل تمثلان تيارين أساسيين فيها، ولعل أكبر دليل على أن الصهيونية هى جزء أصيل من الحضارة الغربية، أن الغرب يحاول تعويض اليهود عما لحق بهم على يد النازيين بإنشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين، وكأن جريمة « أوشفيتس » يمكن أن تمحى بارتكاب جريمة دير ياسين، أو مذبحة بيروت، أو مذبحة قانا. وقد أنجزت الصهيونية ما أنجزت من اغتصاب الأرض، وطرد وإبادة للفلسطينيين، من خلال التشكيل الإمبريالى الغربي، واستخدمت كل أدواته من غزو، وقمع، وترحيل، وتهجير. والغرب الذي أفرز «هتلر» وغزواته هو نفسه الذى نظر بإعجاب إلى الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان، وبيروت، وأنحاء أخرى من العالم العربي، وهو الذي ينظر بحياد وموضوعية داروينية للجريمة التى ارتكبت، والتي ترتكب، يومياً، ضد الشعب الفلسطيني»[٣].

وفى الفقرة التالية، الموجزة من رواية فويجلمان، يوّجه المؤلف النقد اللاذع الشامل

=المتحدة الأمريكية. وفى عام ١٩٦٤م، نقلت رفاته إلى إسرائيل، ودفن بجبل هيرتزل بالقدس. ويطلق اسمه على العديد من المناطق السكنية والشوارع المهمة فى شتى أنحاء إسرائيل وأهمها شارع كبير فى قلب تل أبيب. وقد كتب العديد من المقالات والكتب والأشعار. وترجم العديد من كتب الشعر والأدب للعبرية. للمزيد راجع: אפרים, מנחם תלמי: לקסיקון ציוני, ספרות מעריב, תל- אביב, 1977, עמ'151.

(١) المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): البروتوكولات اليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٥٢.

(٢) المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ رؤية حضارية جديدة دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٣٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٣١.

للدولة الصهيونية، ونازيتها، على لسان الشاب الشتاتى الغربى (أرويـنج) الرافض لليهودية والدولة، في وقت واحد:-

إنه خطؤكم السابق، ربما كانت الدولة نفسها، وكل الذى حل في أعقاب قيامها .

وبعد برهة من الصمت، قال متبسماً:

« أنتم في الواقع تعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر، وهو ما كان من شأنه الاندفاع نحو تخطى الحدود ....

التدخل في شؤون الدول المجاورة .....

إنها المفارقة التاريخية .....[1] .

وهنا نلمس لغة النقد الموجه للصهيونية، التي قامت بإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وبأساليبها النازية التى شردت شعبها، واقترفت في حقه أبشع صور القتل، والتنكيل، والغدر، وهو ما يفوق كل الأساليب النازية. وقد وضح ذلك من خلال :

أ - خطأ إنشاء الدولة وتوجهاتها.

ب- الاندفاع نحو تخطى الحدود والعدوان، وشن الحروب، واقتراف المجازر.

ج – التدخل في شئون الدول المجاورة.

د – المفارقة التاريخية بإعلان الحق التاريخى في الأرض الفلسطينية، وإنكار وجود شعب فلسطينى عليها .

« ويتضح التشابه بين النازية والصهيونية، في قانون العودة الصهيوني. ومن المعروف أن جميع أجنحة الصهيونية تعاونت في مرحلة، ما قبل ١٩٤٨ م، على إنجاز أهم عنصر متضمن في الصيغة الصهيونية الأساسية، أى التخلص من السكان الأصليين وتغييبهم. وثمة أدبيات ثرية في هذا الموضوع توثق النية الصهيونية المبيتة لطرد العرب، وتبين الطرق المختلفة التى لجأت إليها قوات المستوطنين لطرد الفلسطينيين. وقد وصف «حاييم وايزمان» خروج العرب بشكل جماعى (هربا من الإرهاب الصهيوني) بأنه تبسيط لمهمة إسرائيل ونجاح مزدوج، إذ

(١)מגד, אהרון: פויגלמן, שם, עמ'16.

يمثل انتصاراً إقليمياً، وحلاً ديموجرافيا نهائياً. بمعنى أن الأرض تم الاستيلاء عليها، وتم تفريغها من سكانها حتى يتسنى للشعب الذى (لا أرض له) أن يهاجر إليها ويستوطنها»[1].

وفي أحد من معسكرات العمل النازية، يصور «أهارون أبيلفلد » في رواية «حفرة الثلج» يهودياً من أشرس رموز النازية في المعسكر، حيث يصفه بالإرهابي، وأنه تفوق على الألمان في نازيته، ووحشيته، وقسوته في معاملة حتى بنى جلدته اليهود:

«عين رقيباً لطابور السير الصباحى له صوت إرهابي، وتقول الإشاعة بأنه «شلنج» يهودي من الربع، حيث أرسل إلى هنا للتأديب – وهو لا يختلف عن باقى الرقباء، فهو شديد القسوة. ومن الواضح أنه ملتزم بأن يثبت بأنه ليس فحسب، منفذاً للأوامر، ولكن متعصب فى تنفيذها. وفى تعصبه لها وبتوجيه مكرر، أيضاً، بأنه باستثناء الجلد الذى يقوم هو بتنفيذه (بجلدنا) في كل فرصة، فهو يسيطر علينا لإذلالنا وإهانتنا، ويصيح بصوت عال، قائلاً: العمل هو حياتنا، الروح السليمة في الجسم السليم، وقد غرس الجرى والشعارات الحمقاء فينا في عهده، رغبة فى أن نعتقد أن حياتنا هنا ليست فحسب، إهانة (إذلال) ولكن تحوى اتجاهاً نحو المجهول، ونحن نعرف الآن أن أسلوب الصياح هذا، ليس إلا مقدمة ثلجية توصل إلى منحدرات مظلمة جداً، وما هي إلا عدة أيام أخرى حتى نستطيع أن نتماسك، إن بيننا رجالاً مجانين، يجرون مثل الجنود، ويحاولون بصحتهم التملص من الموت[2].

إن (أهارون أبيلفلد) قد خبر حياة المعسكرات النازية في طفولته، وكذلك والده، الذى كان يعد من الذين كتبت لهم النجاة، ومن هنا، يكون في رصد تلك الواقعة ما ينم عن شيء من الواقعية، حيث تناولت تلك الفقرة:

أ– التعاون بين اليهود ورجال النازية .

ب– تفوق اليهود المتعاونين مع رجال النازية على النازيين أنفسهم في البشاعة والتنكيل، حتى تجاه اليهود بنى جلدتهم.

ج– توفر نزعة الأنانية، حيث إن كل واحد من اليهود كان يهمه الحرص على حياته

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): المرجع السابق، ص ١٤١ .

(٢)אפלפלד, אהרון: מכרה הכרח, שם, עמ'80.

فحسب.

د – التأكيد على غرس الشعارات الحمقاء والجوفاء في رجال المعسكر مع إذلالهم.

هـ– يريد اليهودي المتعاون مع النازية أن يظهر لسادته من النازية مدى كفاءته ونازيته.

و – الإشارة إلى قسوة المعاملة والعنف، وهو ما قد يؤدى للموت البطيء عن طريق «الجلد»، مما يبرهن على أعداد الوفيات، فيما بعد .

إن « رواية « حفرة الثلج » مليئة بمسائل إنسانية، يتم عرضها فى إطار من الواقعية المرتبطة بحياة قاسية: الصفوف، والإساءات، والأعمال الشاقة. وهكذا وصل المؤلف من خلال تلك الواقعية – كما هو الحال عند المؤلفين المشهورين – إلى الارتباط بشفافية لا نهائية»[1].

وفى فقرة أخرى، من رواية «حفرة الثلج»، يشير المؤلف إلى لهجة الأنانية التى كانت سائدة، آنذاك، بين يهود الشتات، حيث أن كل فرد كان يقول «نفسى نفسى». أى أن الأنانية كانت هى المسيطرة كأسلوب للنجاة من النازية، حتى لو كان هذا على حساب المجموعة، أو حتى ضدهم، كما هو حال المتعاونين منهم مع رجال النازية، وكانت هذه الأنانية هى التى جعلتهم أكثر نازية من النازيين.

«سمعت ذات مرة، أحد التجار يقول لأصدقائه، إنه منذ العمليات العسكرية، لا يستطيع التحدث بلغة أنا. إنها لغة ليست فحسب أنانية، ولكنها مادية. وضغط عليه أصدقاؤه ليقص عليهم مشاعره، فأصابه الخجل، كما لو كان قد ضبط متلبسا بسرقة فكرة. وحينئذ بدت لى أقوال التاجر فاقدة الحساسية .

تحدثت حول هذا مع «أبيدة».

اتفقت أبيدة معى على أن لغة الأنا، هى لغة حقيقية، وأن لغة الجمع هى غطاء وتعميم أعمى، وأسعدنى أن أفكارنا متشابهة»[2].

لقد تلاقت أفكار، أكثر من شخصية في الرواية على الاتفاق على أن الأنانية هى

(١)בלבן, אברהם: מאחורי הגדרות; אפלפלד, אהרון: מכרה הקרח, ידיעות אחרונות, 18/ 5/ 1997, עמ'2.

(٢)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'23.

السائدة، أما الحديث عن الجمع والجماعة فهو مجرد حديث بعيد عن الواقع .

وفى موضع آخر من رواية «حفرة الثلج» يبرز الكاتب (أبيلفلد) الأنانية سواء على مستوى يهود الشتات، أو غيرهم، حيث يتأكد هنا التعاون بين بعض اليهود والنازية على حساب الآخرين، لأن كل واحد كان يسعى بأنانيته للحفاظ على نفسه والعمل لمصلحته وحياته فحسب.

«من الصعب الوثوق فى الناس في تلك الأيام

إن هناك أناساً قريبين، مخلصين، ومستقيمين، يتمسكون بأقوالهم، حيث لا يقال الأوكرانيين (فحسب) .

كل واحد يعتنى بنفسه فحسب.

والأنانية هي الدليل .

ومع كل هذا ازدهرت هنا أيضا العناية بالحقيقة، والإنسان يتعرض للخطر، ويخفى في سردابه ليس فحسب، المقربين من أسرته، ولكن الغرباء أيضاً، الذين ألقى بهم هنا»[1] .

ويبدو أن التعاون بين اليهود ورجال النازية كان يتطلب بعض المواصفات التى تتوفر في اليهودي ليكون عيناً وعونا للنازية بالمعسكر، فقد رأينا من قبل الرقيب اليهودي الإرهابي، وأنانيته، وصفاته النازية الوحشية التى فاقت النازيين أنفسهم، ولكن هنا أراد «أبيلفلد» أن يبرز نوعاً آخر من المتعاونين مع النازية، وهو أحد مدرسى المرحلة الثانوية (الجمنسيا) الذى يتحدث الألمانية بطلاقة» .

«يستمر العمل من الساعة السادسة صباحاً، وحتى الواحدة ظهراً، ثم نعود إلى الساحة لتناول وجبة الظهيرة حسب تعليمات معلمنا المناوب.

معلمنا المناوب هو الدكتور / بوخبندر، أحد المدرسين المعروفين في الجمنسيا، وقد اختاره الرقيب الإرهابي، ولكن من الصعب معرفة لماذا ؟

ربما لأنه الشخص المحنك فينا، وربما لكونه متحدثاً لبقاً، كما كانوا يقولون، فهو

(١) שם, עמ' 57.

يتحدث الألمانية بطلاقة .

ويتجه إليه وحده الرقباء، للكشف عن حقيقة أى أمر لا يخصه هو، لأنهم يصرخون من بعيد، الضباط بعيدون عنا، يتابعوننا من فتحات أبراج القيادة .

أحياناً، نرى خيالهم على جسور القيادة، ونحن نرتعش من الثلج»[1] .

يتأكد التعاون بين بعض اليهود في الشتات مع ضباط النازية في معسكرات العمل، وهو هنا دكتور، ويعمل مدرساً في المرحلة الثانوية لليهود (الجمنسيا)، ومعّين من قبل الرقيب الإرهابي، وهنا له دور خفي بخلاف عمله في السيطرة على مجموعة اليهود بالمعسكر، فهو عين وجاسوس عليهم لصالح رجال النازية».

وحول يهود الشتات المتعاونين مع رجال النازية في معسكراتهم، يعرض «أبيلفلد» في هذه الفقرة من رواية «حفرة الثلج» نوعا آخر منهم :-

«رجلان شديدان تواقين للحياة كشرطة سرايا، تذكرت ملامحهما من محل الخياطة الخاص «فى الجيتو»، وهما منعزلان عن الجميع . يقيمان بالقرب من الكوخ بالبيت، وتصرف لهما سترة وقفازات، وينامان على أسرة مفروشة، وتصرف لهما وجبة خبز مضاعفة، لكنهما في الأساس ليسا معتقلين مثلنا.

إن رجال الشرطة هم أدوات لخدمة الرقباء، وفى حال صدور الأوامر لهم ينقضون ككلاب هائجة، يقولون إن من بينهم عدداً من الرجال كانوا من قبل تجاراً، ومفكرين، وأصحاب مهن، هادئين منظمين، ولكنهم هنا تغيروا بلا رجعة، لا يقصدهم أحد، كما لو كانوا ليسوا أخوة لهم سوى أنهم بدلاء للرقباء.

إن حياتهم دون شك أفضل منا، ولكن هناك ثمناً يدفعونه. من لم يكن وحشياً بما فيه الكفاية يعامل بوحشية من الرقباء، حتى عُين اثنان مثلنا كانا من المعتقلين من ترنسلفانيا، ويحسان بنا، لكنهما، وعلى ما يبدو، لم يكونا بالوحشية بما فيه الكفاية في نظر من أرسلوهم.

وتم نقلهما إلى قسم تأديب رجال الشرطة.

(إذا كانت تلك هى الحياة فمن الأفضل الانسحاب منها، فوراً)

---

(١)שם, עמ'9.

وهذا الكلام لم أسمعه فحسب، ولكن رأيت نتائجه.

تجد إنساناً يقفز للنهر، وتبتلعه مياهه، وتكون النهاية.

وسمعنا عن معسكرات عمل أخرى، إن الموت غير متاح بتلك الصورة المريحة، هناك الانتحارات القاسية، طويلة ومؤلمة»[1].

*** ركزت الفقرة السابقة على موضوعين مهمين:**

أولاً: المتعاونون من يهود الشتات مع رجال النازية في معسكراتهم.

ثانياً: التفسير المنطقي لأعداد القتلى من اليهود في المعسكرات النازية بعيداً عن تهويلات الصهيونية (أفران الغاز).

الموضوع الأول يخرج من أحد المعسكرات حيث تم تعيين اثنين من اليهود كرجال شرطة للسرايا، وهما تحت إمرة الرقباء النازيين، ويساعدانهم في السيطرة على اليهود المقسمين إلى مجموعات عبارة عن سرايا عسكرية.

وعلى الرغم من أنهما يهود، من بنى جلدتهم، ومن نفس الجيتو، الذين كانا يعيشان به قبل اعتقالهما بالمعسكر، فإنهما نظير تعاونهما مع رجال النازية يعيشان بمعزل عن باقى اليهود، ويتميزان في المأكل، والمشرب، والملبس، والإعاشة، وينفذان أوامر رجال النازية بكل وحشية وصفت بوحشية الكلاب الجائعة، وتعتبر الوحشية والقسوة في المعاملة من شروط التعاون بين هؤلاء الناس ورجال النازية، وهى الوحشية التى يتجرعها باقى اليهود بالمعسكر.

وإذا تخاذل هؤلاء الرجال المتعاونون، في تنفيذ أوامر الرقباء النازيين، يكون مصيرهم هم، أيضاً، التعذيب والوحشية.

إذن لا مفر من دفع الثمن.

ويحاول الكاتب، أن يلتمس العذر لبعض هؤلاء اليهود المتعاونين مع رجال النازية، فيقول إن جذورهم كانت طيبة قبل دخول هذه المعسكرات، سواء من حيث المهن والأعمال التى كانوا يقومون بها، ولكنهم تغيروا في داخل تلك المعسكرات، بدافع الأنانية،

(١)אפלפלד, אהרון: שם, 87- 88.

ويدافع المحافظة على حياتهم، والتماس حياة سهلة وسط أهوال هذه المعسكرات، ولكن في نهاية الأمر، فثمة يهود نازيون أكثر من رجال النازية أنفسهم (ينقضون كالكلاب الهائجة)، حيث لا يشعرون أو يحسون بآلام ذويهم اليهود فى المعسكر.

وكل من يبدى إحساساً بذويه اليهود فى المعسكر، ويتراخى في نازيته ووحشيته معهم، يكون مصيره العقاب والشرب من نفس الكأس النازية .

فها هما اثنان من اليهود المعتقلين من ترنسلفانيا، أظهرا تراخياً في وحشيتهما بعد أن تم تعيينهما رجلى شرطة مساعدين للرقباء النازيين، أي أن وحشيتهما كانت في الحد الأدنى منها مما لا يرضى رجال النازية، ومن هنا كان نصيبهما العقاب والتأديب في مكان مخصص لهذا العمل .

وكان الكاتب حريصاً على أن يوضح أن وحشيتهما ونازيتهما بمستوى أقل مما يجب لإرضاء غرور رجال النازية.

أي أن الصفات النازية سواء في حدها الأقصى المطلوب، أو الأقل، لابد وأن تتوفر في اليهود المتعاونين مع رجال النازية، وهذا هو ما كان بالفعل.

والموضوع الثاني، وهو الأسباب الحقيقية وراء مقتل الكثيرين من اليهود في معسكرات العمل النازية، وهى عبارة عن قسوة الحياة، والمعاملة الوحشية، وسوء الأحوال المعيشية، وهذا كله يولد حالة نفسية سيئة تؤدى إلى اليأس من الحياة نفسها، ثم التخلص من الحياة بالانتحار في مياه النهر. وهناك أساليب أخرى مؤلمة جداً من الانتحارات البطيئة في معسكرات أخرى، وهى الموت البطيء من جراء الجوع، والقلق، والخوف .

وفي نهاية المطاف، هناك موتى، وهناك الناجون على رأسهم المتعاونون مع النازية، فهم نازيون صهيونيون، وجميعهم في النهاية يهود الشتات الغربي، سواء من بقى منهم في شتاته، أو هاجر بنازيته إلى إسرائيل.

والشتات اليهودي هو الذي أفرز القضايا الخلافية، ومن بينها قضية الاختلاف بين اليهود الاشكنازيم والسفارديم، حيث إن «جذور ثنائية الاشكناز والسفاراد نبعت من الشتات باختلاف ظروف اليهود في مواطن إقامتهم من اضطهاد، أو تسامح، وخلافه. فيهود ألمانيا وأسبانيا لهم الدور الأكبر في قصة اليهود في العصر الحديث، فهؤلاء هم الذين

تعرضوا لأشد أخطار الإبادة والطرد، ومنهم ومن نسلهم سيستمد التقسيم الثنائى أو الرئيسى الذى يفرق بين يهود شمال أوروبا من ناحية، وجنوب أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى، أعنى ثنائية الأشكناز Ashkenzim والسفارادى Sphardin ، وهما كلمتان قديمتان في التوراة، فاستعارتهما التقاليد اليهودية في العصور الوسطى، لتميز بين يهود ألمانيا ويهود أسبانيا على الترتيب، اعتقاداً منهم بأن يهود ألمانيا ينحدرون من نسل قبيلة يهوذا، ويهود أسبانيا من نسل قبيلة بنيامين. والسفاراديم يعدون أو يدعون أنفسهم أرستقراطية اليهود على الأساس الدينى، غير أن الأشكناز إنما يؤلفون الأغلبية الساحقة عددياً (٨٠ –٩٠٪ فيما يقدر) والطبقة المسيطرة المتفوقة حضارياً، إلى حد يحتقرون معه السفاراديم، احتقاراً لا يحفلون بإخفائه»[١].

وبعيداً عن تهويلات الصهيونية حول أحداث النازية، وأعداد القتلى من يهود الشتات وأفران الغاز، وما شابه ذلك مما تروج له عن معسكرات الاعتقال النازية، يصف «أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج» جانباً مهماً من جوانب الحياة داخل معسكرات العمل النازية، وهو الجانب العسكرى لإعداد الرجال، أياً كانت أعمارهم وإمكانياتهم كجنود محاربين، وبالطبع هناك المعاملة القاسية، وما ينتج عنها من إصابات، وربما قتل :

«أيقظتنى طلقات الرصاص، وصل ضابطنا مع المتطوعين للتدريبات الليلية، أصيب عدد من المتطوعين، وضمد الممرضون جروحهم بالضمادات التى وجدوها بالدشمة (غرفة عسكرية محصنة تحت الأرض)، صرخ المصابون، وقاطعهم ضابطنا، وبشكل قاطع، لا تصرخوا لا يليق بالجنود أن يصرخوا.

وبعد الحادث كان من الواجب على ما يبدو أن يوقف ضابطنا التدريبات، ويعطى الجنود قليلاً من الراحة.

ولكن هذا لم يحدث وانقض عليهم مع رجاله، وبغضب شديد، انهالوا جميعاً على بقايا مجموعات الإنشاءات»[٢] .

(١)مهران، محمد بيومى (دكتور): بنو إسرائيل، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى في عام ١٣٥م، جـ٢، (نقلا عن) جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، ص ٢١-٢٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦.

(٢)אפלפלד, אהרון: שם, עמ' 168- 169.

وتشير هذه الفقرة إلى تدريبات عسكرية ليلية شاقة تجري في قسم من المعسكرات، وبالتالى فهناك عدد من المصابين تم إسعافهم عن طريق التمريض فحسب، وبالإمكانيات الضعيفة المتاحة في المعسكر والمخزونة تحت الأرض في أحد الدشم المحصنة، وكانت تسمع توجعات وصراخ الجنود من جراحهم وآلامهم، وحتى هذا الصراخ استنكره عليهم الضابط الفظ القائم بتدريبهم ، وقال إن الصراخ لا يصدر من الجنود، ولا بد أن يتحملوا، ويكونوا أقوياء، وفي هذه الحالة (بعد عناء التدريب ووقوع حادث نتجت عنه إصابات)، كان من الطبيعى أن يوقف التدريب، ويمنحهم قسطاً من الراحة، ولكن هذا لم يحدث، بل العكس، انقض عليهم الضابط ورجاله بمعاملة قاسية، وبأسلوب غاضب باستمرار التدريب والعمل .

وخاصة أن هناك إشارة بأن المتدربين هم بقايا لمجموعات عمل مختلفة .

وفي موضع آخر، من رواية «حفرة الثلج»، يؤكد «أبيلفلد» على استمرار التدريبات الشاقة بإطلاق النيران لوقت متأخر من الليل، لمجموعات من اليهود في أحد معسكرات النازية:

«اشتد إطلاق النيران في منتصف الليل، وأخرجنا من حيز الملاحظات المخيفة.

استطعنا أن نميز صوت ضابطنا المدوى مع صراخ المتطوعين (المتدربين)، وأضاءت شظايا طلقات النيران السماء، وعرفنا أنهم قريبون من معسكرنا.

ويوجد هناك أيضاً، بعض الرجال الذين شاركونا حمل عوارض الخشب لمقدمة الجسر (المقام على نهر البوج).

وهم الآن يصارعون آلامهم، والمناظر المرعبة هناك مع ضابطنا الذى يتصرف بكل عنف.

ومرت بنا لحظة ندم بسبب الانفصال عنهم[1].

إن التدريب على إطلاق النيران ليلاً لمجموعات من اليهود بالمعسكر، ومن بينهم مجموعة كانت تقوم بالأعمال الشاقة في بناء الجسر، على نهر (بوج) بحمل عوارض الخشب الثقيلة إلى بداية الجسر، وهاهم في صراع مع مشاق جديدة، ومع معاملة قاسية من الضابط

(١)שם, עמ'171.

العنيف في تلك التدريبات العنيفة، التي تضيء السماء من خلال شظايا إطلاق النيران.

وإذا كانت التدريبات العسكرية المستمرة والشاقة دون راحة ينتج عنها إصابات وقتلى، فإن كانت الأعمال الشاقة، غير المسبوقة، التي لم يعتادوا عليها من قبل في حمل الأثقال والأعمال اليدوية، بالإضافة للمعاملة السيئة وأحوال الإعاشة الأسوأ، ينتج عنها أيضاً، سقوط قتلى ومنتحرين نتيجة الرعب، والخوف، والقلق، وعدم التحمل».

وفي هذه الحالة، فإن مجموعة المتدربين كانوا ضمن القائمين ببناء الجسر، واحتمال سقوط القتلى والصرعى مضاعف، لأنهم ضحايا الحالتين في وقت واحد، أي أنهم شربوا الكأس المر مرتين.

وهذا يفسر أيضاً، أعداد القتلى والضحايا من اليهود في المعسكرات النازية، كأمر طبيعي بعيداً عن الدراما التي تحيكها الصهيونية .

وعلاوة على ما تقدم من أسباب جوهرية أدت لمقتل العديد من اليهود داخل المعسكرات النازية، فهناك الخطوات التي سبقت وصولهم للمعسكرات، وهي من الصعوبة بحيث تؤدي بدورها إلى عدد من القتلى »، ففي أحد الأيام، وخلال ساعات قليلة، حدثت ضجة وصخب مع أصوات الطارقين على المداخل والأبواب، مطالبين بخروج كل الرجال بالخارج، وقام الجنود الألمان بتطويق الشوارع والبيوت، وهم يضعون الخوذات على رؤوسهم، والرشاشات الخفيفة في أيديهم، وطلبوا من كل الرجال التجمع في المجلس البلدي، وتم جمع مجموعات من الرجال الخائفين في الميادين، ووقف الألمان حولهم مصوبين اتجاههم رشاشاتهم الخفيفة، ووقف الرجال رافعي أيديهم لأعلى دون التفوه بكلمة، ولم يصرخ الألمان كآدميين، لأنه لم يكن صراخاً بل نوعاً من الصخب كهدير حيوانات رذيلة في قمة هياجها، ولا يمكن سماع حديثهم على الإطلاق، واندلع صراخهم واحترق كما لو كان صادرا من بطونهم أو بلعومهم، وأي أذن تسمع هذا الخوار تميزه على أنه أمر تعليمي أو تدريبي معتاد كنظام ثابت.

وكان تهديدهم بأن أى رجل يبقى بالبيت، يتم رميه بالرصاص كالكلاب»[1] .

(١)צוקרמן, יצחק- בוסק משה: ספרות מלחמות הגיטאות, בין החומות, במחעות, ביערות, הקיבוץ המאוחד, תל- אביב, 1954, עמ'9.

وهكذا تبدو الصورة واضحة، من البداية، وهى حاجة الألمان للرجال سواء من اليهود أو غيرهم للعمل بالمعسكرات، أثناء الحرب، في الأشغال العسكرية، أو كجنود محاربين، مع المعاملة القاسية. كان الرجال قد تركوا عائلاتهم في مهب الريح، وبالتالي كانت الحالة النفسية المتدهورة، ويأتى بعدها التفسير المنطقى لأعداد الموتى من اليهود، منذ اللحظات الأولى، لتجميعهم، وحتى وصولهم للمعسكرات، ونهاية عملهم بها.

وكان تجميع الرجال وحشدهم في المعسكرات يشمل أناساً آخرين من غير اليهود، ففى إحدى الأماكن التى كانت مخصصة لهذا الغرض، وهى عبارة عن:

«ساحة مصنع محاطة بالأسلاك الشائكة حيث يتمدد الناس على الأرض، يتنفسون الصعداء، وعلى فترات، كانت تأتى مجموعات من ساحة مجلس المدينة، وتنضم للجماهير التى تعد لمعسكرات جديدة، وقبل حلول المساء، وصل الساحة ضابط، ومن داخل سيارته، أعلن : « أن على كل البولنديين الخروج، وتقدم البولنديون ووقفوا صفاً واحداً، واستعرضهم الضابط الألمانى كما لو كانت لحظة مراسم تفتيش، واخبرهم:

« مصرح لكم بالخروج للبيت – أنتم أحرار، نظر البولنديون للألمانى بوجوه باسمه، وبسمة ماكرة، وبعيون تعرب عن الشكر، ولوح عدد منهم بيديه بحركة التحية الهتلرية، وقالوا بالألمانية « شكرا (دنكيه).

ركعوا وخلعوا قبعاتهم عن رؤوسهم، وانحنوا مرة أخرى، وغادروا المكان مسرورين، وطوال الليلة، كان بقية الناس جاثمين على الأرض، ولم يشعر الرجل بالجوع، ونحى عن فكره عذاب الجسم، وجاء الألمان، مرة أخرى، في الصباح، وصرح أحدهم: بأنه سيأتى إلى هنا الحلاقون، وحتى الثانية عشرة ظهراً، تكون شعور ولحى اليهود محلوقة »[1] .

ويقول أفراهام شطال حول هذه النقطة: « فى الحرب العالمية الأولى، ١٩١٤ – ١٩١٨، كان هناك ٢٠٠٠ (ألفان) من اليهود بالجيش الألمانى، وكان من نتائج الحرب اللقاء مع يهود شرق أوروبا، وزيادة الإعلانات، والتعارف بين يهود ألمانيا. وفي عام ١٩٢٨، بدأت أزمة اقتصادية خطيرة فى ألمانيا مع زيادة قوة الحزب الوطنى الاشتراكي

(١)שם, עמ'10.

(النازي)، وانتشار المبدأ العنصرى، وفي عام ١٩٣٣ ، تولى النازيون السلطة، وكان عدد اليهود فى ألمانيا، حوالي ٥٠٠.٠٠٠ ، حتى سنة ١٩٣٩ ، هاجر منهم ٣٠٠.٠٠٠ لدول مختلفة، وحوالي ٦٥.٠٠٠ هاجروا إلى فلسطين، وهى تحت السلطة البريطانية. وفي عام ١٩٣٥ ، صدرت قوانين العنصرية (قوانين نورنبرج)، والتي حرمت يهود ألمانيا من حق المواطنة. وفي عام ١٩٧٤ ، كان عدد اليهود فى ألمانيا من بقايا يهود ألمانيا والمهاجرين من دول أخرى حوالى ٣٢.٠٠٠ ، وكان عدد الذين غادروا ألمانيا مع أبناء لآباء من مواليد ألمانيا، ونزحوا لدولة إسرائيل، حوالي ٧٠.٠٠٠ يهودي»[١] .

وتعلن الصهيونية عن نازيتها في أبشع صورها، حيث يكشف عنها «أهارون ميجد» في رواية «فويجلمان»، حيث يقوم الجيش الإسرائيلي بنشر السموم في مواد الطعام، ومنابع المياه بالضفة الغربية، لنشر الأمراض بين السكان العرب.

«سم .....

قلت، وحكيت أنه في مؤتمر البيولوجيين الذى عقد بالقدس، وشاركت فيه زوجتى لأنها تعمل بيولوجية .

ووقف على المنصة أستاذ لعلم الأوبئة من جامعة «بيرزيت»، واتهم الجيش الإسرائيلي بنشر مواد سامة في مواد الطعام، ومنابع المياه بمناطق الضفة الغربية، من أجل نشر الميكروبات الوبائية بين السكان العرب .

وقد أحضر أدلة علمية تؤكد اتهامه.

قلت إن هذا نوع من الافتراءات، فقد كان المسيحيون في العصور الوسطى ينشرونها عن اليهود»[٢] .

وقد حرص المؤلف على إعطاء الجانب الصهيوني حقه في الدفاع، من هنا، جاء التشكيك في صحة الواقعة على لسان «تسفى اربيل» أستاذ التاريخ اليهودي بالجامعة، وزوج «نورا» البيولوجية، التي شاركت في المؤتمر بصفتها التخصصية.

(١)שטאל, אברהם: שם, עמ'84.

(٢)מגד, אהרון: שם, עמ' 92 – 93.

ولكن هناك أمرين يؤكدان تلك الواقعة على الرغم من هذا التشكيك:

أ- تم عرض الاتهام بواسطة أستاذ متخصص في علم الأوبئة بجامعة بيرزيت، وليس شخصا عادياً.

ب- دعم اتهامه بأدلة علمية، وهى أدلة لا تقبل الشك، ولو أراد المؤلف أن ينفى تلك الواقعة لحرص على أن يكون التشكيك من قبل متخصص، وهو متوفر ومتمثل في شخصية «نورا» البيولوجية، وهى مشاركة فى المؤتمر، وهى التى روت الواقعة لزوجها، ولم تصدر منها أية معارضة. وكان التشكيك، الذى جاء على لسان زوجها، مجرد دفاع شخصى لا يستند إلى دليل.

وهذه الواقعة واقعية، وتناول «ميجد» لها على لسان شخصية فلسطينية، إنما أراد بها، أن يعطى مصداقية للحدث، وتدخل في إطار الالتزام الواقعى بصحة الأحداث، التى يتناولها الأديب الواقعى في رواياته، «ففي عام ١٩٨٣، انفجرت مظاهرات طلابية خرجت من المدارس الفلسطينية الثانوية في الضفة الغربية، كان الطلاب الفلسطينيون يتظاهرون احتجاجاً على قيام الإسرائيليين بدس أنواع من السموم الغازية في مدارس الفتيات العربيات بهدف إصابتهن بالعقم والعجز عن الإنجاب، واتصل أحد قادة الاحتلال الإسرائيلي المتمركزين في الضفة الغربية برئيس الأركان الإسرائيلي، في ذلك الوقت، الجنرال «رفائيل ايتان»، ليسأله (كما ذكرت الصحف العبرية) «ماذا أفعل يا سيدى رئيس الأركان؟ وجاءت إجابة رئيس الأركان بالحرف، تقول: «انزعوا لهم خصياتهم ..... لا ضرورة لأن يكونوا رجالا »[1].

يمثل التزايد السكاني الفلسطيني عقبة هائلة في وجه الصهيونية ومخططاتها، التي تضع، دائماً، نصب عينيها تفريغ الأرض من سكانها بشتى الوسائل النازية، التي تصل إلى حد الإبادة، وهى الهدف الذى تسعى إليه الصهيونية، ولكن ما جعل هذا الأمر

(١)سليمان، عبد الرازق: الواقعية في النثر العبرى الحديث من خلال الإنتاج الروائى لأهارون ميجد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٦، ص ٢٢٢ ؛ صميدة، محمود (دكتور): إستراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، سلسلة نحن وهم، (٢)، المقدمة، دكتور إبراهيم البحراوى.

مستحيلا »، وجود المنظمات الدولية والإعلام، كما كان شأن الكثافة السكانية العربية، وتماسك العرب، وانتمائهم إلى تشكيل حضارى مركب، وبقدرتهم على التنظيم، والمقاومة، والانتفاضة أن أصبحت الإبادة حلا مستحيلاً.

ومع هذا لا بد من الإشارة إلى عمليات الإبادة الجسدية التى تمت في صفد، ودير ياسين، وكفر قاسم، وغيرها من مدن وقرى فلسطين، حيث لم تكن الممارسة الصهيونية تهدف إلى تهجير الفلسطينيين بقدر ما كانت تهدف إلى قتلهم وإبادتهم، وبالمثل كانت عملية صابرا وشاتيلا ذات طابع إبادي واضح، كما أن الإبادة بمعنى التهجير، والتسخير، والقمع، والاستغلال، هي حدث يومي داخل الإطار الصهيوني »[1].

يعد الشتات الغربى البيئة التى أفرزت الصهيونية، ورموزها، ومخططاتها النازية، وتعود جذور رموزها النازية، في الوقت الراهن، إلى تلك البيئة.

وبطبيعة الحال، فإن الصهيونية ورموزها، سواء في الشتات أو فى إسرائيل، تمثل مصدراً شرساً وقوياً للسيطرة على اليهود، وبالتالى عدم استقرارهم، وفقدانهم للأمن، مع بطشهم وتنكيلهم بجيرانهم الفلسطينيين، «فاستمرار الصهيونية يعنى استمرار الصراع، واستمرار عذاب الفلسطينيين، وعذاب اليهود، كل اليهود، فالصهيونية تساوى في الحقيقة استمرار استعباد الإنسان اليهودي، تحت شعار تحريره. ولذلك لا أتصور إمكان تحقيق سلام عادل، في الأجل المنظور، طالما ظل اليهودي الهائع السعيد فى فرنسا، وهولندا، وبريطانيا، وأمريكا، وأستراليا، وفى كل دول العالم (الشتات) رهينة لبؤس أو تعصب أقلية من اليهود، ترفض التحرر من الآلام، ومن خصوصية التعالى المقدس، أي ترفض حل (المسألة المقدسة).

فالصهيونية حركة سياسية تطالب وتعمل من أجل توطين اليهود فى فلسطين ـ أرض الميعاد ـ موظفة الأسطورة الدينية والظرف التاريخى، فها هو «بن جوريون» يعلن: أن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بازل، ولا وعد بازل، ولا بوعد «بلفور»، ولا بقرارات الأمم المتحدة، عام ١٩٤٨م، ولكنها بدأت يوم وعد الله أبانا «إبراهيم» وعده.

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): الصهيونية والنازية، المرجع السابق، ص١٣١ - ١٣٢.

ومن هنا عاشت الفكرة الصهيونية خلال قرون طويلة، ملازمة لتفسيرات لاهوتية فى الديانة اليهودية والمسيحية (فى الغرب)، وفى اليهودية يتضح الربط بينها وبين المملكة العبرية القديمة فى فلسطين (مملكة إسرائيل ومملكة يهودا)، حتى تدمير الهيكل الأول، في عام ٥٨٧ق.م. والغريب أن العهد القديم قد تناول تلك الفترة بكثير من التفاصيل، رغم أن معظم ما جاء فى العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة، كتبت بعد ذلك التاريخ»[١].

«للعقل الصهيوني بنية خاصة متميزة، نتيجة قراءة أيديولوجية مشوهة للتاريخ اليهودي، وقامت على أساس تفسير بمقتضاه أنه ليس هناك حل للشتات اليهودي، سوى «العودة» إلى «أرض الميعاد»، وهذه العودة لابد لها أن تتجه إلى فلسطين، حيث ينبغى إقامة دولة يهودية خالصة تكون موطناً لكل يهود العالم. وهذه القراءة للتاريخ اليهودي لم تبق حبيسة الاتجاهات الفكرية أو محصورة فى حدود الندوات المغلقة، بل تحولت إلى فعل سياسى فى مؤتمر بازل، والذي تقرر فيه إنشاء الدولة اليهودية. واستطاعت الحركة الصهيونية بجهود تتسم بالدأب، بعد خمسين عاماً، من انعقاد المؤتمر، أن تنشئ فعلاً الدولة الإسرائيلية، عام ١٩٤٨م. غير أن السياسة الصهيونية واجهت، منذ البداية، السؤال الرئيسي، ماذا نفعل بالشعب الفلسطينى المقيم فعلاً على أرضه؟ وكيف سنتعامل معه؟»[٢].

ومع فشل الصهيونية الواضح فى تحقيق أهدافها العنصرية حيال قضية الوجود اليهودي الآمن في فلسطين، ازداد الإرهاب الصهيوني تجاه الفلسطينيين والعرب، بارتكاب المجازر بتفريغ الأرض بالاستناد إلى أفكار خاطئة، سواء كانت تاريخية مغلوطة، أو دينية متطرفة، تعتمد على تأويلات خاطئة من العهد القديم، على الرغم من ظهور باحثين يهود يشككون تاريخياً فى كل ما جاء بالعهد القديم، «فقد توصل «فلهاوزن» ومن جاء بعده من الباحثين الذين أصبحوا يعرفون باسم «أصحاب المدرسة النقدية»، إلى أن العهد القديم هو مؤلف دينى روحاني، تم تدوينه فى فترة متأخرة تلت الأحداث الواردة فيه بمئات السنين، وتحول بسبب دوره فى خدمة الفكر الديني الإسرائيلي إلى مصدر تاريخي، مشكوك فيه، لأن

(١)إسكندر، أمين: معسكر السلام الصهيوني، الثقافة السياسية العنصرية، مختارات إسرائيلية (٥١)، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ص٥٦- ٥٧.

(٢)يس، السيد: أوراق ثقافية، محنة العقل الإسرائيلي، الأهرام، ١١/ ٩/ ١٩٩٧، ص٢٤.

الأحداث الواردة فيه لا تؤيدها براهين أخرى من مصادر أجنبية، أو اكتشافات أثرية، مما ألقى بظلال كثيفة حول المصداقية التاريخية المرتبطة بالخلفية الدينية، وحول مزاعم الجماعة اليهودية حول الأرض، والتراث، والوعد الإلهي....إلخ»[1].

تعد أحداث النازية من المحاور الأساسية في التاريخ اليهودي الحديث، ومن الأعمدة الأساسية في بناء الأيديولوجيات الصهيونية، حيث تعوّل عليها في كل مخططاتها الاستعمارية في فلسطين، بدءا بقيام الدولة، ووصولا لدعمها للبقاء عليها، وذلك بالإنعاش المستمر لذاكرة اليهود في كل مكان لمنع تكرار تلك الأحداث .

ومن هنا، أصبحت أحداث النازية، منبع الإلهام للفكر الصهيوني، ومبررا كافياً لدى اليهود في اقتراف المجازر ضد الآخرين، وخاصة العرب في فلسطين، وأصبحت منبعاً لا ينضب من خلال تعويضات الغرب المادية، والمعنوية، والدعم المستمر من الشتات لإسرائيل.

وفي رواية «فويجلمان» ، يؤكد «ميجد» على مدى أهمية انتشار صناعة واستغلال تلك الأحداث في شتى أنحاء الشتات، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

«إنها صناعة كبيرة، دراسة واختيار جوهر الذين تمت إبادتهم، صناعة مزدهرة صاحبة حصيلة قوية.

لقد سمعت في هذا المؤتمر، بأنه توجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، يوجد اثنتان وعشرون كلية لدراسة أحداث النازية، تضمم حوالى خمسين أستاذاً، وكتبت مئات الكتب والبحوث، حتى الآن، ورسائل دكتوراه تصل إلى ألفي رسالة، إنها موضوعات ليست قليلة، علاقة «الدوبيرمانيم» مع عمال السخرة، والجرذان كناقلي جراثيم متسلقة في بوخنولدن وصناعة الفُرش فى ألمانيا، وملتقى يهوديات هولندا، وتأثير ديدان المياه على الجهاز الهضمى للمعتقلين في ميدنك.

وهناك من قال هنا في إحدى المحاضرات:

«إن التاريخ هو الذاكرة الجماعية للبشرية »

أما بالنسبة لى فهو ذكرى خاصة فحسب.

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): العبرانيون وبنو إسرائيل، المرجع السابق، ص٣٣.

وبناء عليه، فأنا بئر مملوءة بالتاريخ»[1].

ونخلص من الفقرة السابقة إلى ما يلي:

* قوة يهود الشتات في أمريكا.

* تطرق موضوعات البحث حول النازية لأحوال اليهود الصحية في المعسكرات.

* أحداث النازية صناعة كبيرة مزدهرة ورابحه أيضاً!

* دراسات أكاديمية لموضوعات قديمة استحدثت لتثير العطف والشفقة من الجميع لليهود (التجارب الطبية على المعتقلين) في معسكرات النازية.

وأقصى ما تحصل عليه إسرائيل من أرباح أحداث النازية (الهولوكوست)، هو تبرير امتلاكها للأسلحة النووية، باعتبارها وسيلة حماية لوجودها، خوفاً من تكرار تلك الأحداث، وتستحق الدعم المستمر، لكونها مهددة، وبالتالى فهى المبرر الأساسي، أيضاً، في الدعم الفريد والضخم من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل.

ولكن «فويجلمان»، (بطل رواية فويجلمان) اليهودي الشتاتى والشاعر اليديشى، له رأى في التاريخ اليهودي وأحداث النازية، وما يثار عنها وحولها. فيقول:

وبالنسبة لهذا الأمر، فإن ما كتب هو عبارة عن أوراق إحباط، حيث إن إحدى قصائدى هى مجرد «نفاية»، وفي الواقع هذا صحيح، وهو نفسه لا يعلم كم هذا صحيح، حيث إنه إذا سألتنى عن تاريخنا، تاريخنا اليهودي كله، فهو عبارة عن نفاية واحدة كبيرة، منذ الخروج من مصر، وحتى اليوم –وإذا شاهدته معروضاً على خشبة مسرح التاريخ العالمى –ستجد أنه كله نفاية وميلودارما، مبالغات مخيفة، إذ إنه ما من أحد ذكى ومدرك يصدقها، كل شيء عاطفى إلى حد يصيب بالغثيان والضحك والبكاء، أيضاً»[2].

إن هذه الفقرة تؤكد على أن التاريخ اليهودي، من بدايته، وحتى اليوم، نفاية، وغير واقعي، وأن الأحداث كلها لا تحتمل الصدق، على الإطلاق؛ لأنها عبارة عن مبالغات ومغالطات لا يقبلها أى عاقل، علاوة على الوقائع العاطفية التى تستدر العطف

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'214.

(٢)מגד, אהרון: שם, עמ'70- 71.

والدموع، ولا ترقى إلى مرتبة الحقائق التاريخية الثابتة؛ لأنها لا تستند على دليل.

وإذا كان هذا الحكم، صادر من يهودي شتاتي غربي (فويجلمان)، فإن هناك باحثين يهود، وأيضاً، في الشتات، أو في إسرائيل يسمون « المؤرخون الجدد»، يتطابق رأيهم تقريباً، مع هذا الرأى، وخاصة أن آراءهم مدعمة علمياً ووثائقياً. فقد « أكد كثير من المؤرخين عدم تاريخية بعض الحقب من حقبة الآباء، كالغزو، والقضاة، كما شككوا فى تاريخية بعض الرموز الأساسية، لكن ثمة افتراض ثابت عندهم » ناجم عن تأثير التفسير التوراتي، وهو وجود إسرائيل موحدة قديماً، غير أن الاتجاه الذى بدأ يتعزز، الآن، والذي يعتبر «توماس طومسون» «رائده»، هو اتجاه التخلى عن الافتراضات المسبقة التى فرضها التفسير التوراتي، والتاريخ يقوم على الأبحاث، وهو يتعلق بالطبيعة، وليس بما وراء الطبيعة، وتاريخ إسرائيل القديم، كما يؤكد طومسون لا يمكن استخلاصه من التوراة، كما أن أساس التقييم النقدى يبقى منفصلا عن التوراة في تاريخ نقوش وحفريات أقاليم فلسطين »[1] .

وبطبيعة الحال، إذا كان التاريخ اليهودي كله نفاية واحدة كبيرة، منذ الخروج من مصر، وحتى اليوم، فإن نقد المؤرخين الجدد، لا بد أن يمس تلك الجذور التى بنى عليها هذا التاريخ، وهو العهد القديم: «توحيد نقد الشكل مع نقد المصدر مكّن الدراسات النقدية التاريخية للعهد القديم من الاتجاه نحو وجهة جديدة في مجال تحليل المرويات التاريخية الذى بدا للكثيرين في الأصل منهجاً سلبياً هداماً، كما في انتقادات «فلهاوزن»، و «ماير»، وآخرين، وذلك بالاتجاه نحو التوافق في البحث عن تسوية تاريخية إيجابية. والفرضيات المتبادلة من اعتبار القصص التقليدية في الأسفار الخمسة الأولى تاريخاً تحول إلى خيال، إلى اعتبار الحوادث التى نشأت عنها هذه القصص تعكس تاريخ شعوب الشرق الأدنى القديم، سرعان ما استوعبها جيل جديد من الدارسين، كافتراضات مسبقة، مسلم بها، ولا تناقش في جميع الدراسات التاريخية عن الكتاب المقدس وإسرائيل القديمة، مع «إيسفيلت» وجيله، دار مؤشر الرأى العام، بشكل حاسم، نحو هذا الاتجاه المحافظ»[2] .

(١)طومسون، توماس. ل: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح على سوداح، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ص ج.

(٢)المرجع السابق، ص ١٥.

وتطلق الصهيونية على ما تعرض له اليهود من النازية في معسكراتهم، اصطلاح «النكبة» (الشوآه)، لما لهذا المسمى من دلالات مهمة عند اليهود وغير اليهود، وهى من الأهمية بمكان، خاصة وأن كل من يتعرض لها بالسلب، سواء الإنكار والتخفيف منها، أو حتى التقليل من أعداد من تعرضوا للقتل في تلك المعسكرات، يكون نصيبه اللعنات والمطاردات اليهودية، في كل مكان.

ولكن في الفقرة التالية، نجد نقداً لاذعاً لتلك «النكبة» من خلال أحد الناجين من أحداث النازية، وهو واحد من يهود الشتات الغربي، بطل رواية «فويجلمان»، حيث يقول:

ما هذه النكبة (أحداث النازية) كلها – إن لم تكن ميلودراما رخيصة ؟ إنه ما من إنسان عاقل من بيت طيب مؤهل لأن يصدق أنه في الحقيقة حدث أمر كهذا، حيث حشروا ألفين من الرجال، والنساء، والأطفال، وهم عرايا في داخل حمام عمومي، وأعدموهم هناك بالغاز، كما لو كانوا يبيدون حشرات ؟ إنها مسرحية رخيصة لمؤلف مسرحى رديء، وذلك من أجل إيقاد رجه في قلب جمهور من الحمقى فحسب، ولابتزاز الدموع من عيون نساء سُذج».

خذ حادثاً معاكساً، لا لفظاعته، ولكن بالعكس لما فيه من المرح، كيف أننى وأخي، بعد سنة ونصف، في لحظة ما بين الحياة والموت، في معسكرين مختلفين، كنا متأكدين أنه لن يرى أحد منا الآخر للأبد، وفجأة، يتقابلان بجوار البيت المهدم الذى ولدا فيه، في مدينة خالية من اليهود، ويلتقيان، ويقع كل منهما على ذراعى أخيه، يتبادلان القبلات، وهما يبكيان ..أليست هذه ميلودراما؟

إن أحداثاً كتلك حدثت لمئات بعد الحرب، ابن ووالدته، وزوج وزوجته، أخ وأخت، – وفجأة يتقابل هذا مع ذاك فى شارع المدينة التى خربت، أو في محطة القطار، أو فى المطعم، أو في معسكر اللاجئين ...أليس عندكم شيء كهذا؟ إذا ما كان واحد ما في هوليود، وكان مؤلفاً لسيناريو خيالي، ويشاهد فيه كيف أن الإسرائيليين، أبناء المكابيين يدمرون في خلال ساعة واحدة سلاح الجو المصرى كله، وفى خلال ستة أيام يحتلون منطقة كبيرة تقرب من خمس أراضيهم، ويأتون في حملة ضاغطة واحدة حتى البحر المتوسط، حتى الخليل، ينفخون في البوق بجوار الحائط الغربي، هل كانوا

يقولون له كتبت سيناريو للمتخلفين، إن عقل الإنسان الذكى لا يقبله ؟

أليس بنفاية؟

صدقنى يا «هيرش» جميعنا على مدى تاريخنا، بما في ذلك ما تضمنه من مشاهد (مسرحيات) حماسية (مثيرة للشفقة) والتضحية.

فنحن ممثلون سيئون في ميلودراما رخيصة»[1].

إن استمرار النقد اللاذع للتاريخ اليهودي، بشكل عام، والحكم عليه بأنه (نفاية)، والتدليل على ذلك بمثال مهم جداً، وهو قضية (أحداث النازية) والسخرية منها، بأنها ميلودراما رخيصة لا يصدقها أي إنسان عاقل، وأن كل ما جاء فيها وما ورد في التاريخ اليهودي، ما هو إلا مشاهد مسرحية رخيصة تستدر العطف والدموع، كل هذا هو مزيد من التأكيد على صناعة التاريخ المزيف لاستدرار العطف والدموع.

ولكن الكاتب يعود ويبرر عدم تسليمه بما ورد فى أحداث النازية، بأن الآلاف منهم قد تم حرقهم في أفران الغاز، وهم مستسلمون، يشير إلى أن هذا لا يصدق، لأن الإسرائيليين أبناء المكابيين كانوا هم المنتصرين في حرب ١٩٦٧ م، وقاموا باحتلال أراضى عربية واسعة .

ولكن، ما علاقة ضعف أو قوة اليهود في شتاتهم أمام النازية وأساليبها ضدهم، بقوة اليهود في فلسطين، في موقعة لها سلبياتها وإيجابياتها من الطرفين؟!

وماذا يقول عنهم بعد هزيمتهم، في السادس من أكتوبر ١٩٧٣م؟

وهكذا، فقد عرض «ميجد» فى رواية «فويجلمان» قضية أحداث النازية محدداً أن ما يثار عن أعداد القتلى اليهود على أيدى النازية، وكيفية قتلهم في أفران الغاز، ما هو إلا مشاهد تمثيلية رخيصة.

وإذا بحثنا عن الأسباب الحقيقية وراء مقتل اليهود في معسكرات النازية، نجد الإجابة مرة أخرى عند (أبيلفلد)، في رواية «حفرة الثلج»:

(١)מגד, אהרון: פוגלמן, שם, עמ'70 -71.

« في السادس من مايو ١٩٤٣ م، أحضرونا إلى هذا المعسكر، ومنذ ذلك الحين، أطلق علينا (وحدة العوارض الخشبية)، جسر مترامى الأطراف مقام فوق نهر «بوج»، ونحن ننقل على ظهورنا تلك العوارض الخشبية لبنائه، يبلغ طول العارضة الخشبية الواحدة سبعة أمتار، وقطرها متر واحد ، يحملها ستة رجال بصعوبة، لكننا، وللعجب لا نحملها فحسب، ولكن ننقلها من الساحة إلى بداية الجسر. وكان على كل طاقم أن ينقل خمسين عارضة خشبية في اليوم، وإذا لم ينجز الطاقم ما عهد إليه يعاقب بالجلد، كان تصورنا، في البداية، أن أيامنا لن تطول هنا.

لا يوجد بيننا رجال أشداء، وشهور الجوع التى سبقت مجيئنا إلى هنا أصابتنا بالضعف الشديد.

ومع كل هذا فنحن نعيش ونعمل لكى نعيش، هذا صحيح.

وكنا أسبوعياً نفقد اثنين أو ثلاثة من زملائنا، لكن الموت على كل حال، كان الموت داخلنا، وذلك لأننا لم نكن مؤهلين لأن نتألم أو نحزن.

انضم للكوخ الذى نعيش فيه مهندسان، وعدد من الصناع، وعدد من المدرسين من الجمنسيا، وضابط سابق، وأصحاب محلات وعدد من التجار والسماسرة، لا يوجد أحد منا مارس العمل اليدوى فى صغره، وهنا، وبشكل مفاجئ، تمر بهذه المحن، في الأيام الأولى، أصابنا اليأس المدمر، ولكن، حتى الآن، كنا نستيقظ كل صباح ونعيش، ولكنها ليست الحياة التى بها أمل، ولكنها حياة الساعات، كل ساعة هى اختبار جديد، اختبار يربطنا سويا، وفى الليل، فوق الأريكة ببقايا قوتك، تتخيل في داخلك أنك سيطلق سراحك من هنا حياً»[1] .

رسم الكاتب صورة كاملة لحياة اليهود داخل أحد معسكرات العمل النازية الواقع على نهر (بوج):

* جميع اليهود فى المعسكرات ضعاف الجسم، وأصابهم الوهن، بسبب الشهور الطويلة التى عاشوها جوعى قبل وصولهم المعسكر.

(١)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'7 – 8.

* المعاملة صعبة جداً، وقاسية في المعسكر.

* أسلوب العمل شاق جداً، فكل مجموعة عليها حمل الأثقال، ونقلها لبناء الجسر، ومن يقصر يعاقب بالجلد.

* جميعهم من أصحاب الوظائف والمهن السهلة، ولم يعتادوا العمل اليدوى، منذ صباهم.

* الموت يسكن في داخلهم، والأمل ضعيف في خروجهم من المعسكر أحياء.

* نتيجة لضعفهم، وقلقهم، وظروفهم الشاقة، يموت منهم ما بين اثنين، وثلاثة أسبوعياً.

ومع زيادة اليهود كمجموعات كثيرة في معسكرات نازية كثيرة، وبإجمال الذين يسقطون موتى، يومياً، يأتي التفسير المنطقي لأعداد القتلى اليهود في معسكرات العمل النازية.

وعن رواية «حفرة الثلج»، ومعسكر «البوج»، كتب «ايلي هيرش»، يقول: «إن معسكر العمل على حافة نهر «البوج»، والأيام الأولى لإطلاق سراحهم، جهنم معسكر العمل، كما يبدو هو لب الرواية، وأعمال الاضطهاد، والجوع المرعب، والصراع مع الموت، والمعارضة، ومشاعر الاتهام المرتبطة به، والتمسك اللانهائى بالحياة، وتهديدات الإذلال والغضب الذى ليس له أساس، والنزوع للحياة الداخلية، كل هذه الأمور موصوفة بإجادة محددة، وبتمكن زائد[1]».

وفى موضع آخر من رواية «حفرة الثلج »، يصف «أبيلفلد» الحالة النفسية لليهود داخل معسكر العمل النازى.

«وفجأة، وبدون أي إنذار، بدأت علامات الاستحكام الشرس، وهذه البداية، تقريباً، ليست غريبة على الرائي، تحدث (هولندر) مع نفسه، واستمر في التماسك، والابتسامة التى كانت تضئ وجهه، على الدوام، أصبحت ضيقة ومشوهة، لقد شعر على ما يبدو بما

(١)הירש, אלי: ספרות, הסתבכותם חסרת התקנה של חוטי הזמן, מעריב, 15/ 8/ 1997, עמ'5.

يتعلق بالأمر المنتشر، وحاول تجاهله، ولم يمر زمن طويل حتى انطفأت الابتسامة، وذلك الذهول المتجمد هو ذهول متعدد القوة ، تجسد أمام عينيه، في حين طلب أن يطوى كل ما تراه عيناه في داخلة»[1].

في هذه الفقرة، بدأت علامات الاستحكام القوى، والمعاملة الشرسة تتصاعد، وتماسك أحد أبطال الرواية (هولندر)، وتحدث مع نفسه، ليبدو متماسكاً، ولكن حالته النفسية السيئة ظهرت على ملامحه وسمات وجهه، وضاعت ابتسامته، وظهر عليه الذبول، والوهن، والخوف من المجهول، وهذه الحالة النفسية السيئة مردودها بالطبع القلق والخوف، بالإضافة إلى تدنى قوة الجسم، مما يضيف سبباً من أسباب وجود القتلى والموت داخل هذه المعسكرات النازية.

وبطبيعة الحال إذا كان هناك حالات موت داخل تلك المعسكرات النازية للأسباب التى نوقشت من قبل (معاملة سيئة وقاسية – أجسام ضعيفة (بسبب الجوع) – أعمال شاقة لم يعتادوها من قبل – القلق النفسى)، فهناك من تحملوا، وتماسكوا، وبقوا على قيد الحياة، وبالتالي كتبت لهم النجاة، وخرجوا للحياة العادية، وكانت أمامهم مشكلة الحياة الجديدة بعد حياة المعسكرات، ومتاعب المستقبل المجهول. وهذا ما تعرض له «أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج» «وهناك مؤلفات أخرى وصفت مصير الناجين (الناجون من أحداث النازية)، فعبارة النهاية في رواية «حفرة الثلج»، في مقابل تلك المؤلفات، تنقل أبطال الرواية من عالم الرعب في معسكر العمل إلى الحياة التي تنتظرهم، بعد نهاية الحرب. المرة الأولى التي انتقل فيها «أبيلفلد» من المنطقة الروائية المعروفة عنده، ويجرب قوته في وصف الحياة التى تعقب الخروج من أسوار معسكر عمل نازي»[2] .

وفي الفقرة التالية من رواية «حفرة الثلج» يتطرق «أبيلفلد» إلى الحالة النفسية لليهود في معسكرات العمل النازية، حال السماح لهم بالخروج من المعسكر، وتسريحهم للحياة العادية.

«ذات مساء، وبدون سابق إنذار، توجه إلينا، كما لو كنا لسنا أصدقاءه، ولكن مجرد

(١)אפלפלד, אהרון: מכרה הכרח, שם, עמ'10.

(٢)בלבן, אברהם: מאחורי הגדרות, שם, עם'2.

جمهور يسمعه، وقال: « سأغادر هنا »

أنا مضطر للعودة للبيت.

سمعت أصواتاً يائسة كثيرة في هذا الكوخ المحرر، ولكن ليس مثل هذا الصوت.

توجه إليه دكتور يوخنبدر معلمنا المناوب، وقال : مارك .

إلى أين تنوي الذهاب؟ هذا السؤال أدهش «هولندر»، كتم أنفاسه، ولكن على الفور، قال: أنا ذاهب للبيت، كان هذا مفاجأة لنا، صوت لا يصدر من هذا المكان .

صوت عادى، ويحمل الخوف، وسرى بين رفاقه في حجرة المدرسين أنه يفكر في العودة للبيت، في موعد معين، وليس كما اعتادوا بعد وجبة الظهيرة»[1].

هنا تطرق الكاتب إلى الحالة النفسية لمجموعات اليهود في المعسكرات النازية، بعد نهاية عملهم في تلك المعسكرات، والسماح لهم بمغادرتها للحياة العادية، وكان من الطبيعى أن تكون حالتهم النفسية في سعادة كبيرة، لكونهم من الذين نجوا بحياتهم، رغم الصعوبات القاتلة داخل تلك المعسكرات، وأيضاً، فرحتهم للخروج للحياة العادية التى حرموا منها لفترة معينة، ولكن العكس هو الصحيح بالنسبة لهم، لأنهم في حالة تشوش، وغموض عن الوضع خارج المعسكرات، وخاصة بعد نهاية الحرب، فمنهم من يتطرق إلى فكرة أنه سيغادر المعسكر، ولا يجد مأوى له، على الإطلاق، وربما لا يجد الأسرة، والأصدقاء، والأبناء، ويجمعهم جميعا شعور الإحباط، وعدم الوصول إلى قرار فيصل، في تحديد مكان وزمان الخروج من المعسكر.

ومن هنا، كان قرار «هولندر» بمغادرة المعسكر مفاجأة لزملائه بالمعسكر، وبالتالي، كان السؤال عن المكان الذى حدد الذهاب إليه، وكانت مفاجأة أخرى، أيضاً، بأنه ذاهب إلى البيت؛ لأن البيت بالنسبة لهم مجهول ؟ وبالتالى المصير مجهول، ومن هنا نجد التردد في اتخاذ قرار الخروج ومغادرة المعسكر من قبل غالبية أفراد مجموعة اليهود بالمعسكر .

ونخلص مما سبق إلى:

١- رغم صعوبة الحياة في المعسكرات النازية، فإن العمل بها يعد، مرحلياً، حيث

(١)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'10- 11.

إن هناك نهاية عمل لكل فرد، ثم يتم تسريحة للحياة العادية.

٢- هناك نوع من التسريح الجماعى لمجموعات من اليهود بالمعسكرات (كوخ محرر).

٣- حالة التردد في الخروج للحياة العادية، حالة عامة، بالنسبة ليهود المعسكر، بسبب عدم وضوح الرؤية عن الحياة المدنية، وخاصة بعد الحرب، وأصبح المستقبل مجهولاً أمامهم.

٤- صعوبة أخذ قرار العودة للبيت للاحتمال الكبير بعدم وجود هذا البيت، ولا أهله.

٥- هناك تفكير طويل وعميق، وربما تخطيط جماعى أو فردى للخروج من المعسكر، بدليل أنه كان من حقهم مغادرة الكوخ، ولكنهم باقون به، وكان خروج أحدهم للبيت مفاجأة تحمل الخوف؛ لأنه قرار متسرع، وغير مدروس .

«في القسم الأخير من رواية «حفرة الثلج» «لأهارون أبيلفلد»، نجد وصفاً لمعاناة النفس، في أعقاب التسريح من المعسكر، حيث عاد «أبيلفلد» للمنطقة التى تميزه. الفقرات التالية تعطى إقناعاً واهتماماً بأكثر من سابقيها. وصف «أبيلفلد» وصفاً جيداً قلق الناجين عند العودة للعالم الخارجى الذى تركوه وهم لا يعلمون ماذا حل بذويهم، وعدم المعرفة تلك ولدت عندهم أحلاماً وكوابيس حيث يجنحون إلى المجهول، ويفحصون المتاح لهم من حياتهم القادمة، وما اختفى، دون رجعة »[1].

ويناقش «أبيلفلد» عقدة البيت والعودة له بعد التسريح في الفقرة التالية «حفرة الثلج»:

« لم يقو رجل، حتى الآن، على الحديث بوضوح عن البيت، بالتأكيد، تم ذكر البيت عرضاً، لكن دون تفصيل، كما أنه لا يوجد من يتحدثون عن مرض عضال، أو عن موت خاطف.

وفجأة، أزاح «هولندر» قناعاً ثقيلاً، وقال:

أنا تركت زوجتى وابنتى الاثنتين، من يحافظ عليهن؟ شَّع الخوف من عينيه كما لو كان قد رأى هاوية .

(١)בלבן, אברהם: שם, עמ'2.

ليس برغبتك تركتهن، وجئت هنا «يامارك» .

طلب الدكتور «بوخيندر» نسيان أوهامه، ولكن بالتأكيد انفجرت التفاتة ضعيفة عن ذلك اليوم الذى تم اعتقالنا فيه فى الجيتو، وأحضرونا إلى هنا.

تم القبض على «هولندر» عند صديقه، عندما كان يلعب الشطرنج.

ذكر هذا الخطأ مرات قليلة بصورة عابرة، ولكن في هذه المرة ذُكر بكلمات واضحة»[1] .

يمثل البيت عقدة عامة عند مجموعات اليهود في معسكرات العمل النازية، فكل حالة منهم لها أسبابها الخاصة في القلق على مصير البيت، ومصير من تركهم به، وأسباب تركهم.

وفي هذه الحالة، نجد الشعور بالذنب، وتأنيب الضمير، من قبل صاحب البيت؛ لأنه وقع في خطأ أودى به إلى غياهب المعسكر، وترك زوجته وابنتيه في مصيرهن المجهول، وذلك لأنه كان يتسلى بلعبة الشطرنج مع أحد زملائه، في وقت الحرب، وبالتالى تم القبض عليه، وترحيله لهذا المعسكر.

وكان الجسر الذي بناه اليهود على نهر «البوج»، وهم في معسكرهم النازى، محورا مهماً دارت حوله رواية «حفرة الثلج»، حيث سار عليه الناجون وهم في طريقهم للبيت. « فالرواية تبدأ بجسر، وتنتهي بجسر، الجسر الضيق الذى سار عليه الناجون، وهم في طريقهم إلى البيت المجهول، الجسر المقام بين هنا وهناك الذى توسط حلقات حياة المؤلف من أمام وخلف، هذا الجسر الذى بنى ليس فحسب، من عوارض الخشب، وقطرات دم، وعرق الناجون، ولكن، أيضاً، من خلال مشاكلهم وتخوفهم. هل أبناء أسرهم باقون على قيد الحياة ؟ ماذا بقى من منازلهم ومقتنياتهم ؟ هكذا يبنون لأنفسهم حياة جديدة في ظل كل ما مر بهم ؟ الرواية تنتهى بإحساس متداخل بين الخوف والأمل، في الوقت الذى نجد فيه أبناء الجماعة الناجين من «حفرة الثلج» يضعون منقولاتهم المتواضعة فى الحافلة، وينوون صعود الجسر. وهناك تنتهى الرواية، وقد توجهنا للعالم بنداء بأننا لا نعرف ماذا وجدوا، وكيف تصارعوا »[2] .

---

(١)אפלפלד, אהרון: שם, עמ'12.

(٢)באומל, יהודית: לגעת בקור, לגעת בחושך,מכרה הקרח, אהרון אפלפלד, הארץ, גליון (269), 22/ 4/ 1998,עמ'5.

وهكذا، فقد رد «أهارون أبيلفيلد» في رواية «حفرة الثلج» معاناة الناجين من أحداث النازية، وهم في شتاتهم، إلى مصيرهم المجهول، بعد الخروج من المعسكرات، والمعاناة النفسية المتمثلة في القلق على مصير البيت، والأهل، وترك الباب، مفتوحاً، للبحث في تصور ما حدث لهم بعد ذلك.

وفي رواية «فويجلمان» أصدر «ميجد» حكمة على التاريخ اليهودي عامة؛ بأنه نفاية، بل نفاية كبيرة، من أوله حتى آخره، وبطبيعة الحال، فأحداث النازية، تشمل جزءاً مهماً في ذاكرة هذا التاريخ أيا كان.

ولا يزال البحث مستمراً حول تلك الأحداث، وبكثافة، وخاصة في الشتات الغربي، وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد رصد «ميجد» هذه الدراسات، وهذا الاهتمام، على الرغم من رفض الشباب الشتاتي الغربي لتلك الأحداث، وحتى مجرد اجترارها.

ويرجع الاهتمام بالبحث والدراسة لأحداث النازية، إلى الرغبة الصهيونية فى إشعال حماس اليهود، وتنشيط ذاكرتهم في الشتات، وكذا جلب التعويضات من الدول الغربية لدعم إسرائيل.

وفي هذه الفقرة من رواية «فويجلمان» جانب من هذا البحث:

« بعد فترة قصيرة من الصمت، قلت :أخبرني والدك في إحدى لقاءاتنا الأخيرة، أنه بدأ في تأليف معجم عن أحداث النازية، من حرف الألف حتى حرف التاء، من أوشفيز حتى تئومى مخلاة، حسبما قال، ولا أعلم إلى أى حرف وصل في الكتابة.

نصب قامته، وشعَّ من عينيه ضوء للتذكر، أو المفاجأة ، وقال : نعم ؟

لكن على الفور – كما لو كان يكبت مشاعره – وعلق بسخرية، قائلاً:

ذلك هو الحنين إلى ماضيه.

دهشت : حنين إلى أحداث النازية ؟

هذا ... مفهوم التناقض ..أنا أعلم .. تلعثم ..لكن يوجد شيء ما كهذا .. كلا : ليس

حنيناً إلى تلك الأيام، بالطبع ....لكن إلى مشاعر معينة . الاختيار ..صفة الخصوصية بالعلم، بالتاريخ الإنساني، مختارون .

أصابتني الأحزان كما لو كانت موجة من الأحزان حلت فجأة على الجميع على الحجرة مع كتبه الموضوعة جانباً، على المرآة الصغيرة المصقولة، كان التوتر على أية حال في داخله، من عالم الليل الممتد من خلال النافذة .

خلعت نظارتي ونظفتها بمنديلي، وهمست، وقلت : سخف، وبطريقة أخرى، بطريقة أخرى لا يمكننى أن أوضح ذلك لنفسي، «البحث مستمر ومتواصل، دون نهاية، احمر وجهه ثلاثون سنة، أربعون سنة، متعة البحث داخل موجة رفات، لأى غرض؟

على كل حال هذه حكاية، رويت بلسان أحمق، دون صخب وغضب، دون سابق معرفة»[1] .

وقد أوضحت الفقرة السابقة، ما يلي :

١- استمرار البحث والدراسة في أحداث النازية فى الشتات الغربى.

٢- النظر بعين السخرية من الشباب اليهودي الغربي بالشتات. (نجل فويجلمان القائم بالدراسة) للنازية، وأحداثها، وما يدور حولها، فالبحث ثلاثين و أربعين سنة في الرفات، أمر غير مقبول عليه .

ولكن من وجهة نظر اليهودي الشتاتى، وهو من الناجين من أحداث النازية بأن أحداث النازية جزء يميز التاريخ اليهودي.

ولكن الأساس في ذلك كله هو إنعاش ذاكرة اليهود والغرب بتلك الأحداث؛ بغرض المنفعة، وجلب الدعم المستمر لإسرائيل.

ولا زالت الصهيونية تجنى ثمار «أحداث النازية »، حتى اليوم، متمثلة في دعم الشتات والغرب لإسرائيل.

ويبدو ذلك واضحاً في الفقرة التالية من رواية «فويجلمان» «لميجد» :

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'17.

« إذا كانت المذابح اليهودية قد منعت، وكذا القتل، والنهب، والدمار، والإبادة، هل كان هؤلاء اليهود قد تحولوا عن ديانتهم ؟

أو كانوا يندمجون (يذوبون في شتاتهم) ؟

يقيمون بكل ورع ٦١٣ وصية دينية .

ينتقلون من معسكر إلى معسكر مناهض ؟ ينظمون دفاعاً ذاتياً؟

يقيمون صرحاً أمام مضطهديهم، ولا يعتمدون على وسائل حمايتهم، يهاجرون بجماهيرهم ؟

وإلى أين تكون الهجرة ؟»[1] .

تنظر الصهيونية إلى «أحداث النازية »، حسبما صورت وقائعها كما شاءت أمام اليهود في الشتات، بأن لها دوراً إيجابياً في إنعاش ذاكرة اليهود بالتخوف من تكرارها، ومن هنا، تتفجر لديهم نزعة الخوف من الاستعداد للرحيل والهجرة لإسرائيل، وسلب التعويضات والتبرعات لدعم إسرائيل، وهذا هو ما تسعى إليه الصهيونية .

وتعتبر الصهيونية أحداث النازية، أو كما تطلق عليها «النكبة»، أنها هى التى شدت من أزر اليهود في الشتات، ليحافظوا على دينهم، ويدافعوا عن أنفسهم، ومن ينوى الهجرة فليتوجه لإسرائيل!

(١)מגד, אהרון: שם, עמ'83.